

تعتة

إنفلونزا الخنازير: بين الإرعاب والإلهاء...!!!

رجل في منتصف العمر، يبدو طيبا يقظا، قال لي بعد أن ناولني ما طلبت من محله المتواضع (سوبر ماركت صغير) ". أنا متابع لأغلب حواراتك، وأكاد أحفظ بعضها"، سألته أي حوارات تعني؟ فقال كلاما طيبا، فشكرته، وسألته مثل ماذا؟ قال ، مثل قولك " أنا مش فاهم ليه الناس حريصة قوى كده على حياة هما ما بيعيشوهاش من أصله ؟؟؟!!"، تعجبت، وسألته متى كان ذلك؟ قال: منذ عامين، أيام هيصة إنفلونزا الفراخ تعجبت أنني نسيت، مع أن نفس الخاطر قد خطر لي بمناسبة هذه الاحتفالية الإعلامية الإرعابية الإلهائية الجارية حول ما يسمى " إنفلونزا الخنازير"، وانصرفت أفكر.

أنا لا أعرف من الذي يقرأ لي، أو يسمع لي، أو يشاهدني، وكيف تبقى لديهم مثل هذه الأقوال التي أنساها فيذكرني بعضهم بها هكذا. ثم إنني بصراحة متهم بالغموض، أو التناقض، كاتباً، حتى أنه لا يصبر على قلمي أكثر من يدعوني للإسهام عنده، إذ سرعان ما يتخلص مني دون شكر أو إنذار، حدث ذلك في الصحف القومية تليدها وحديثها، وفي صحف المعارضة، وأنا لا أعرف ما الذي صبر الإبن إبراهيم عيسى على حتى الآن، لعلها ذكريات العشرة القديمة منذ الإصدار الأول للدستور.

وجدت أن ما وصل هذا المشاهد اليقظ من سنتين ينطبق الآن أكثر على ما يسمى إنفلونزا الخنازير، بل وعلى ما يسمى فيروس "س" الذي صدعونا به ليل نهار، مع أنه لم يستدل على وجوده شخصياً حتى الآن، اللهم إلا إشارات لأجسام مضادة غامضة افترضته فرضاً، لن أدخل في تفاصيل تفتح على النار من المختصين جداً جداً، فأقصر حديثي على خبرين حديثين:

الأول: "أعلنت منظمة الصحة العالمية رفع درجة التحذير الخاصة بمرض أنفلونزا الخنازير إلى أقصى مستوى (الدستور 12 الجارى)". **الثاني:** وصول ثمن عبوة عقار "التاميفلو" باعتباره العلاج المناسب لهذا المرض المزعوم، إلى 800 جنيه مصري، تنخفض إلى 600 أو 400 حسب مدة الصلاحية!!!! (الشروق 15 الجارى أيضاً)، (والتجارة شطارة!! خاصة والمصابين حتى الآن من القادرين في الزمالك والجامعة الأمريكية!! إنفلونزا ذواتي!!)، بصراحة لم يتوان وزير الصحة عندنا، من التصريح تلو التصريح أنه: "يا جماعة مش كده، المسألة مش مستاهلة".

إنفلونزا هي الإنفلونزا، وهي التي كنا نحمد الله حين نصاب بها ، فيقول أحدنا للآخر: "دى شوية انفلونزا وحاتعدى"، وهي هي التي كان يعتذر بها "أحمد بدير" لسهير البابلي في مسرحية ربا وسكينة، حين يطرها برداًذ عطسته، ويقول لها ليطمئننها: معلشى!! "الفلوزة"، نعم الإنفلونزا هي الإنفلونزا لكن إذا توحش فيروسها أحياناً، أو انتشر وباءً - الأمر الذي لم يحدث ولن يحدث حالا - فلن تصده تلك الكمادات العبثية التي تصدر الصفحات الأولى على وجوه الأطفال الأبرياء والشيوخ المعمرين، وأنصار موسى المتظاهرين، حتى يسرا وطلبات الثانوية العامة، وكأن هذه الكمادات هي الجدار الحاجز ضد الفيروس الطائر؟ نتلهى بها عن الجدار الحاجز العنصرى في فلسطين.

ليس أغلى من الصحة، لكن، هذه ليست حملة للحفاظ على الصحة، وإنما هي حملة للإلهاء بالمرض عن حقيقة الصحة الإيجابية (بتعريف منظمة الصحة العالمية نفسها)

ليس أغلى من الحياة، ولكن لعلنا نعرف النكتة التي حكاها أحدهم عن مأزقه في الغابة أمام هجمة أسد جائع، حتى زعم أن الأسد أكله، فتعجب السامع قائلاً ". ما انت لسه عايش اهه"، فأجاب الراوى، وهي دى عيشة دى يا حمار؟؟ (باجئة!!!)، أعلم ذلك، لكني حكيتهما لعلاقتها بما حكاه لي صاحب السوبر ماركت الصغير، "لماذا نحصر - هكذا - على حياة لا نحيها أصلاً".

ليس أرعب من الموت، لكن هذا الموت الذي لاح لبضع عشرات في أمريكا، وثلاثة في الزمالك شفوا بالسلامة، واتنين في الجامعة الأمريكية لايزالان يعطسان حتى استهلك كل منهما علبة كاملة من المناديل الورقية، (يا حرام!!!)، هذا الموت المزعوم القادم مع الخوجات، نفخوا فيه هكذا لعله ينسينا الملايين الذين يموتون جوعاً أو يقتلون غدراً في غزة والعالم، والآلاف الذين يقتلون استباقاً في منازلهم بشكل جماعي للوصول إلى منابع البترول، والباقيين الذين يموتون بالأمراض الاخطر والأكثر رسوخاً وإزماناً وانتشاراً، يموتون لأنهم لا يملكون ثمن الدواء الذي يتصاعد سعره لإثراء شركاته (أقوى لوى في الكونجرس الأمريكى) وهي التي تحرك الحروب كما تحرك الأسعار، وتيرمج العلماء، وترشو منظمة الصحة العالمية.

في كتاب "جاك إيلول" عن "خدعة التكنولوجيا" (ترجمة د. فاطمة نصر) تفاصيل مهمة عن دور تكنولوجيا الإعلام في تحويل انتباه عامة الناس إلى ما لا يهمهم، حتى يتفرغ الكبار لإنهاء حياة أغلب البشر بمعرفتهم لصالح تكديس أموالهم، وبقاء صفوتهم دون غيرهم.

انتباه !! .